تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها بين الواقع الموجود والمستقبل المنشود

أ. شاكر علي محمد المحمدي

المقدمة :

إن اللغة وسيلة تواصل وتفاعل بين الأفراد الشعوب وهي إحدى الوسائل الهامة والضرورية للتعبير والحوار التي ينمو من خلالها التفكير ويتعايش بفضلها الأفراد والمجتمعات. وتكمن أهمية اللغة العربية في انها من أقدم اللغات في العالم التي علا شانها لأنها اللغة التي نزل بها القرآن الكريم. وتعتبر اللغة العربية لغة حيّة قادرة على الفعل والتفاعل والتأثير والتأثر وهي الرابط الأساسي بين العرب والمسلمين في كل انحاء العالم. فالمكانة التي بدأت تسترجعها اللغة العربية اليوم دعت العديد من غير الناطقين بها إلى الاهتمام بها والسعي إلى تعلمها ودراستها ومحاولة اتقانها. فافتتح الكثير من المدارس والمعاهد والمراكز لتعليم اللغة العربية في العديد من البلدان العربية وفي سفاراتها ومراكزها الثقافية بالبلدان الأجنبية. وأولى المتخصصون جلّ اهتمامهم في سبيل توفير الفرص أمام كلّ من يرغب في تعلّم اللغة العربية. ولكن على الرغم من كلّ ما يبذل من جهود من أجل تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها ونشرها وحمايتها من الاقصاء والتهميش إلاّ أنها لا تزال تواجه مجموعه من التحديات في دراستها، تعلّما وتعليما، من قبل الطلبة الاجانب الناطقين بغيرها. ومن هذا المنطلق، يسعى هذا البحث إلى دراسة تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، من خلال مقاربة بين الموجود والمنشود تهدف إلى رصد أهم الصعوبات والمشاكل التي تعترض الجهود المبذولة والمبادرات الطموحة لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها. ويهدف هذا البحث إلى التوصل إلى بعض المقترحات والاستراتيجيات التي من شأنها أن تقلص الفجوة في هذا النمط من التعليم بين الموجود في واقعه والمنشود الذي نروم الوصول إليه ونطمح إلى تحقيقه. لذا يعتمد الباحث في هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي مستندا على جمله من أهم الدراسات في مجال درس اللغة العربية، تعلماً وتعليماً، للناطقين بغيرها ساعياً إلى توصيف دقيق لواقع هذا النمط من التعليم في البلدان العربية و محاولا بيان الفجوة بين الموجود والمنشود من خلال طرح بعض الاستراتيجيات التي تواكب كل جديد في مجال تعليم اللغة العربية واكتسابها للناطقين بغيرها، والاستفادة من التجارب الناجحة في بناء المناهج والأطر والأدوات وتأليف الكتب وإعداد المقررات وتحديد انسب وأنجح وأحدث الاستراتيجيات في دراستها، تعلّما وتعليماً.

ويهدف الباحث من خلال هذه الدراسة إلى ابراز أهمية تعلّم اللغة العربية وتعليمها واستخدامها في حماية اللغة العربية في حدّ ذاتها والحفاظ عليها من الاقصاء والتهميش في مجال التعليم وغيره من المجالات الحيوية الاخرى وتحفيز استخدامها في المجالات الحياتية الحيوية المختلفة. ومن هنا يمكن للغة العربية أن تنتشر بين الناطقين بغيرها وتستردّ مكانتها الرّيادية بين لغات العالم ممّا من شأنه ان يعود بالفائدة المادية والمعنوية على الفرد والمجتمع والمؤسسات والدول بصفة عامة. يسعى هذا البحث إلى تسليط الضوء على المبادرات الفردية والمؤسساتية والدولية في مجال درس اللغة العربية ، تعلّما وتعليماً، للناطقين بغيرها حتّى نتمكن جميعا من توسيع أفاقها وتخطّي تحدّياتها.

تتمثل أهمية هذا البحث في مناقشته لجملة من التحدّيات العامة التي تواجه اللغة العربية وبعض التحديات الخاصة التّي تعترض مبادرات تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها فضلا عن التحديات التي تواجه اللغة العربية كلغة ثانية أو لغة أجنبية منذ مطلع القرن الواحد والعشرين خاصة في ظل التغيرات العالمية الجديدة وتحديات العولمة المعاصرة بما فيها من غزو لغوي وثقافي وتعليمي واقتصادي واجتماعي يمّثل خطراً على اللغة العربية عامة وعلى فرص نشرها وتعليمها لغير الناطقين بها خاصة. مثل هذه الأخطار هي الدوافع التي تكمن وراء القيام بهذه الدراسة من أجل رفع جميع التحديات التي تواجه اللغة العربية والتي تفرض على جميع المختصين وعلى الأمة العربية والإسلامية بأسرها أن تكثف من جهودها لحماية اللغة العربية والحفاظ عليها ونشرها والتحفيز على استخدامها في كلّ المجالات الحيوية بهدف الارتقاء بها وبمكانتها تعليميا وحضارياً ودوليّاً.

يسعى هذا البحث إلى دراسة الموضوعات المبيّنة أعلاه في ثلاثة محاور أساسية، وهي: أولاً الاطار النظري وأهم الدراسات السابقة، ثانياً واقع تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها وأهم التحدّيات، ثالثاً سبل الارتقاء بتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها من اجل تحقيق المنشود. ويهدف الباحث من خلال هذا البحث بمحاوره الثلاثة إلى تناول تحديات دراسة اللغة العربية، تعلّما وتعليما، للنّاطقين بغيرها، من خلال مقاربة بين الموجود والمنشود تسعى لطرح استراتيجيات ناجحة ومناهج ثرية ومقرّرات فعّالة وأساليب تدريس حديثة ونشيطة وبرامج شاملة مؤسساتية ودولية تحظى بالتنسيق المحكم والترويج الناجح والدعم الرسمي لاتخاذ الوسائل المناسبة للزمان والمكان ومقتضيات الأحوال بما يؤمن للغة العربية ديمومة وإشعاعاً على المدى البعيد بوصفها وعاء للثقافة العربية الاسلامية وحاضنة للتاريخ والحضارة العربية الاسلامية من

جهة، وبوصفها لغة حية قادرة على الفعل والتفاعل كلغة شائعة الاستعمال في محيطها العربي وفي غير محيطها وخارج حدودها الجغرافية بين الناطقين بغيرها. ومن هذا المنطلق تدعو هذه الدراسة إلى تشجيع الاستثمار في اللغة العربية والعمل على ايجاد السبل الناجعة في استثمار اللغة العربية في خدمة قضايا المجتمعات العربية الاساسية لاسيما في ظلّ تحديات العولمة المعاصرة وفي ظلّ ما يسمّى بزمن " صدام الحضارات " (Samuel Huntington, 1996).

1. الاطار النظري وأهمّ الدراسات السابقة:

على غير ما يقوله بعض الدارسين الأجانب، إنّ تعليم اللغة العربية كلغة ثانية أو كلغة أجنبية ليس أمرا صعبا والدليل على ذلك انتشارها السريع في البلاد التي فتحها المسلمون العرب في جنوب شرق آسيا (الأولوسي، 1988، ص47)، كما أنّ العديد من علماء الأدب واللغة والحديث والفقه والتفسير كانوا من غير العرب الذين درسوا اللغة العربية وأتقنوها فأصبحوا من خبرائها ويكفي ان نذكر سبويه على سبيل الذكر لا الحصر.

تجدر الإشارة إلى أنّه لابُدّ من التفريق بين التعليم اللغة كلغة ثانية وتعليمها كلغة أجنبية. يوضح (الناقة، 1980، ص 7-8) أنّ تعليم اللغة كلغة ثانية يكون عندما تصبح اللغة التي يراد تعلمها اللغة المشتركة بين عدّه لهجات محليّة وغالبا ما تكون هذه اللغة الثانية أساسية وضرورية للحياة اليومية والحياة الوظيفية والمعاملات الرسمية في البلاد التي يتعلّم فيها الدارس. أمّا اللغة الأجنبية فهي تُدرَّس في المدارس والمعاهد كمادة من موادّ الدراسة ويكون الهدف من تدريسها اكتساب الكفاءة اللغوية التي تمكّن الدارسين من استخدام اللغة الأجنبية في احد الأغراض المتعدّدة في المحادثة والاستماع والقراءة والكتابة.

في بدايات تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها كان هذا النمط من التعليم تحديا للدّارس والمدرّس معاً، أمّا الآن فقد أصبح تخصصا قائما بذاته. يختلف الدارسون للغة العربية من غير الناطقين بها فمنهم من هو أمّي في لغته الأولى ولكن ظروف عمله في احد البلدان العربية فرضت عليه ذلك، ومنهم من هو بصدد مزاولة دراسته في المرحلة الابتدائية والثانوية والجامعية، ومنهم من يحمل الشهادات العليا بمجالات مختلفة من التخصصات، ومنهم من أبناء الجاليات العربية في المهجر، ومنهم من أزواج وزوجات أجانب تزوّجوا من نساء ورجال عرب، ومنهم السياسيّون والدبلوماسيون والعسكريون المعتمدون في البلدان العربية وفي بلدانهم وخاصة اولئك المنتمون إلى وزارات الخارجية والدفاع والمخابرات. هذا التباين في المستويات

والثقافات المختلفة بين الدارسين للغة العربية من غير الناطقين بها سيؤدي بالضرورة إلى اختلافات في أهدافهم ومقاصدهم من وراء دراستهم للغة العربية واختلافات في طرق وأساليب تدريسهم هذه اللغة.

تشير العديد من الدراسات التي تناولت بعض جوانب تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها إلى اختلاف أهداف الطلبة الأجانب من تعلّم اللغة العربية. فمنهم من يدرس لمقاصد سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو ثقافية بحتة وقد فرض هذا التنوع والاختلاف على المختصين والمدرسين تنويع المناهج والمقررات وطرق وأساليب التدريس. ويبرز الوضع الراهن لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها تنوعا في المناهج حسب تنوع الأهداف والمقاصد، فالذين يودون فهم اللغة العربية الأساسية وقراءة الصحف تحضّر لهم مواد تعليمية تقوم في أساسها على مواد صحافية وقضايا معاصرة، والذين يودون الدراسات العليا في التاريخ الإسلامي أو الثقافة العربية تُعدّ لهم مناهج تتعلق بالتاريخ الإسلامي واللغة العربية المعاصرة (الموسى، 2005، ص5). ويُظهر واقع تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها أن أغلب المتقدّمين لدراسة اللغة العربية يطمحون إلى اكتساب القدرة على المحادثة والتكلم في مواقف مختلفة وذلك بهدف تحقيق النجاعة في التواصل باللغة العربية مع الناطقين بها حتّى يسهل عليهم التعامل والتعايش في المجتمعات العربية وممارسة أعمالهم بأكثر فعالية سواء كان ذلك في الشركات العربية او من خلال المعاملات والمبادلات التجارية مع التجار والشركات العربية.

وتبيّن عدّة دراسات أنّ اللغة العربية تركت آثارا واضحة في عدد من لغات الدول الاسلامية غير الناطقة بها كتأثيرها العميق في الغة الفارسية والأردية والتركية (بكر، 1969، ص 24)، لذلك يسهل على الدارسين من هذه الأمم الاسلامية تعلّم اللغة العربية في حين تصعب المهمة أحيانا على الدارسين من دول أخرى مثل كوريا والصين وأمريكا وبعض الدول الأوربية .لذا كان لزاما على المختصين والمدرسين ان يأخذوا هذه الفوارق بعين الاعتبار أثناء بناء المناهج وتصنيف الطلبة وتدريس المساقات بهدف تحديد المستويات المختلفة و"وضع ضوابط نطقية صرفية ونحوية معجمية تعبيرية قرائية كتابية" (الموسى، 1983 ، ص7).

وقد تناولت العديد من الدراسات والبحوث السابقة موضوع تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها من جوانب وزوايا مختلفة نذكر منها على سبيل المثال دراسة (كاتبي ، 2012) بعنوان " اللغة العربية كلغة ثانية والتحديات التي تواجه دارسيها الأجانب" التي تناولت بالدرس صعوبات تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها وتحدثت عن طبيعة الدارسين وجنسياتهم المختلفة وأهدافهم من

وراء الاهتمام باللغة العربية. وتناولت الدراسة أيضا دور التقنيات في تسهيل عملية تعلّم اللغة العربية للناطقين بغيرها كتعليم نطق الحروف والأصوات والكتابة والاستماع والتراكيب النحوية، والاستيعاب والقراءة وتركز الدراسة على اهمّ التحدّيات التي تواجه اللغة العربية كلغة ثانية كالتحدي الثقافي وإحياء اللهجات المحلية والمحكية.

وقد ساهمت دراسة (عفيفي ،2013) بعنوان "الصعوبات اللغوية وطرق علاجها في تعليم العربية للناطقين بغيرها" في بيان الصعوبات اللغوية التي تقف حجر عثرة امام الناطقين بغير العربية والتي تضمّ المستويات اللغوية من صوتية وصرفية ونحوية وكتابية ومعجمية ودلالية. كما وضّح البحث الصعوبات النفسية والاجتماعية التي يترتب عليها صعوبات لغوية وأيضا تطرّق البحث لتوضيح الصعوبات التي تختصّ بالمواد التعليمية ومقترحات علاجها. كذلك وضّحت الدراسة الترجمة والصعوبات التي تواجهها ومقترحاتها العلاجية ومن الصعوبات التي اهتمت بها الدراسة المدرّس وطرق وأساليب التدريس ومقترحات علاجها قدر الإمكان من خلال الكتابات والدراسات والبحوث التي قدّمها علماء اللغة والتربويون والمختصون في هذا المجال.

وفي نفس هذا الاتجاه هدفت دراسة (غالب ،2010) بعنوان "اللغة العربية والتحديات أمامها" إلى الكشف على الصعوبات والعراقيل التي تواجه اللغة العربية، وتناولت الدراسة التهم التي غالبا ما توّجه إلى اللغة العربية، كنعتها بالعقم والقصور والجمود والتحجّر وعدم قدرتها على مواكبة الأساليب الحديثة والتقنيات التكنولوجية والمعلوماتية التي تميز القرن الحادي والعشرين. كما أشارت الدراسة إلى وجود العديد من الجهات التي تمثل خطرا على اللغة العربية، كدعاة استبدال الفصحى باللهجات العامية الإقليمية ودعاة تحويل كتابة بعض اللهجات العربية إلى اللاتينية بحجة انّها أكثر اختصارا، وحمّلت الدراسة كذلك جزءا من المسؤولية إلى قطاع الاعلام العربي وخاصة الاعلام السمعي البصري الذي عادة ما يراوح في برامجه ونشراته وتقاريره ومسلسلاته بين الفصحى والعامية دون وجود سياسات واضحة ومحكمة. وأضافت الدراسة أن تحويل اللغة العربية إلى ركام وتراكيب صعبة يعجز المثقف عن فهمها وإدراك معانيها، ناهيك الإنسان العادي البسيط، يعتبر من أبرز التحديات التي تواجه اللغة العربية.

أمّا دراسة (حماد وأبو غزالة ،2010) بعنوان "استخدامات تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، الشبكة العنكبوتية، الانترنت أنموذجا" فقد سعت إلى الوقوف على النتائج المتوخاة من استخدامات التكنولوجيا في المنظومة التعليمية

التربوية ودور الشبكة العنكبوتية في واقعنا المعيش بكلّ مجالاته المختلفة. وخلصت هذه الدراسة إلى ضرورة مواكبة تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها لآخر التطورات التكنولوجية والبرامج الحديثة وتقنيات الاتصال والتواصل بما يتيح كل الفرص للنهوض بهذا المجال في تعليم اللغة العربية ونشرها عن طريق أحدث الأساليب وأنجع الطرق والبحث المتواصل عن الجديد والحديث في مجال التدريس التقليدي والالكتروني.

وتعتبر الدراسة النظرية (البوشيخي، 2002) بعنوان "تعليم اللغة العربية من منظور وظيفي" من أهم الدراسات التي تناولت مسألة تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها حيث يرى الباحث أن التعليم الناجح والناجع للغة العربية يقتضي الانطلاق من تصور علمي واضح لعملية التعليم. هذا التصور الذي يربط بين التعليم والتعلم والاكتساب يمثل الإطار النظري الذي تتبناه هذه الدراسة مفترضة أن نظرية اكتساب اللغة هي أساس نظرية تعلم اللغات الأجنبية، وأن التعليم هو مجهود لتقريب التعلم من الاكتساب، نظرا إلى إنّ اكتساب اللغة الأم هو فعل فطري طبيعي، وأن تعلم اللغات الأجنبية فعل صناعي يحاكي الفعل الطبيعي. وتناولت الدراسة الأساليب والطرق التدريسية التي يمكن أن تكون ناجعة حيث بينت أنّ المقاربة الوظيفية التواصلية أجدى في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها داعية إلى الحاجة الماسة والملحة لوضع برامج وبناء مناهج تستجيب للمتطلبات العلمية الحديثة ولحاجات الدارسين الأجانب وأهدافهم المرجوة من وراء تعلم اللغة العربية.

وعلى الرغم من الجهود المبذولة للنهوض بتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، فإنّ المتأمل في هذا النمط من التعليم، تعلّما وتعليما وتأليفا، ينكشف له سوء كثير ومشاكل عديدة وتحديات صعبة وحاجة ملحة للتدخل السريع والناجع من أجل الإصلاح والتطوير من الواقع الموجود بغية تحقيق المنشود.

2. تحديات تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها :

بات من المعروف لدى عدد كبير من اللغويين والمتخصصين والتربويين ان اللغة العربية في زماننا هذا غدت تعاني من عدّة مخاطر ومصاعب تهدد كيانها عند أهلها الناطقين بها، فما بالك عند الناطقين بغيرها وفي بلدان غير موطنها (المحمدي ،2013) فالمتتبع لمناهج تعليم اللغة العربية المصممة والموجهة لغير الناطقين بها يهوله من أمرها كثرتها دون نجاعتها وانتشارها دون فاعليتها حيث تفتقر في مجملها إلى نقد علمي أو تحليل منهجي . ومن يستعرض نماذج من

الاختبارات التي تقدم في عدد من مراكز تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها تأسره الدهشة ويحيره الأمر لما يكتشفه من خلط واضطراب وتذبذب لا عهد له به.

يظهر من خلال واقع تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها أنه من اهم المصاعب في استراتيجيات تعليم اللغة العربية غياب نظرة شاملة ورؤية واضحة لأسهم اللغة العربية وفرصها في الدول الناطقة بغيرها، والافتقار لسياسات لغوية عربية تساعد في الوقوف على ملامح احتياجات شعوب تلك الدول إلى تعلم اللغة العربية، كما نفتقد إلى خطة واضحة وبرنامج متكامل للأهداف الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتعليمية التي نطمح إليها من خلال تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها.

والمتأمل في واقع تدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها يكتشف نقصا في الخبرة التدريسية والبيداغوجية للمدرسين المباشرين لهذا النمط من التعليم، حيث أنّ العديد من المدرسين هم هواة وليسوا من ذوي الاختصاص وغالبا ما ينقصهم التمكن من أساليب التدريس الحديثة في تعليم اللغات ممّا يكون له الأثر البليغ على الدارسين وغالبا ما يؤدي إلى فشل العملية التعليمية برمتها.

وتبرز مشكلة أخرى تواجه مسار تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها وهي المناهج التدريسية والمقررات التي يتم اعتمادها من قبل كثير من المعاهد والمراكز لتعليم اللغة العربية حيث يلاحظ أمر بارز في التوجهات العامة للكثير من هذه المناهج والكتب والمؤلفات وهو "التعددية وغياب التنسيق وعدم وضوح الرؤية التي توجه المنهج بشكل صريح أو ضمني"(عفيفي، 2013). وتجدر الإشارة هنا إلى ان حركة تأليف الكتب وبناء المناهج لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها تتمركز خارج الدول العربية التي لا تتعدى فيها نسبة تأليف الكتب التعليمية في هذا المجال 34% من جملة الكتب التي يقع تأليفها حول العالم. هذا إضافة إلى أن عددا كبيرا من مناهج تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها يفتقد إلى النجاعة والشمول، وإلى منهجية واضحة وواعية في معالجة جملة من المشاكل اللغوية التي تعترض دارسي اللغة العربية من الناطقين بغيرها كالحروف والأصوات والصرف والتراكيب والمصطلح النحوي والمعاجم. وما زاد هذه الصعوبات تعقيدا هو الاعتقاد السائد لدى العديد من المدرسين وواضعي المناهج التعليمية ان الدارسين الأجانب للغة العربية من غير الناطقين بها لا يختلفون في طبيعة تحصيلهم وطرق تعلمهم وأساليب اكتسابهم للغة العربية عن نظرائهم من الناطقين بها، وبالتالي فقد تم اعتبار مشكلاتهم اللغوية واحدة، وطرق التدريس واحدة، والاستراتيجيات المتبعة في بناء

المناهج ووضع المقررات تكاد تتشابه، في حين أنه يوجد بون شاسع بين تعلم اللغة العربية بوصفها اللغة الأم، وتعلمها كلغة ثانية أو لغة اجنبية.

ومن التحديات الأخرى أيضا محاولات إغراق اللغة العربية بالعديد من المفردات الاجنبية لتفتيت اللغة الفصيحة ممّا يؤثر في المتعلم الأجنبي عندما يرى العرب يكتبون ويتكلمون باستعمال مفردات اجنبية مثل "التلفون" عوضا عن الهاتف، و "الباص" عوضا عن الحافلة، و"الكمبيوتر" عوضا عن الحاسوب وغيرها من المفردات الدخيلة على اللغة العربية. فخطر مثل هذه الاستعمالات يكمن في ترسيخ الشعور السائد عند بعض الدارسين من الأجانب والعرب أنّ اللغة الإنجليزية هي لغة العلم والبحث والأعمال وإتقانها واستخدامها، في مختلف المجالات الحياتية هو الذي يعكس رفعة مستوى المتكلم وسعه علمه وثقافته.

ولعلّ العولمة بما تحمله من توحيد نمطي للثقافات العالمية وتعميم للنمط الثقافي الغربي تبدو من أهمّ التحديات التي تواجه اللغة العربية التي وجدت نفسها في مواجهة غير متكافئة مع لغات عالمية وخاصة اللغة الانجليزية التي تجد كل الدعم الدولي الذي ما أنفك يؤكد أن اللغة الإنجليزية هي اللغة الأولى وهي لغة العلم والثقافة والأعمال والتكنولوجيا ولغة الانترنت وتقنيات التواصل والاتصال. فاللغة العربية تواجه خصوما وتحديات متعددة منها ما هو خارجي ومنها ما هو داخلي بحسب (خليفة، 2006). أمّا التحديات الخارجية فتتمثل في العولمة، بكلّ تجلياتها الثقافية والاجتماعية والاقتصادية، ومحاولات الاختراق الثقافي والحملات الاستعمارية التي تستهدف الثقافة اللغوية من خلال الدعوات المتكررة إلى اعتماد اللغة الانجليزية في التعليم الجامعي والبحث العلمي. وأمّا التحديات الداخلية فقد سبق التعرض إليها في مستهل هذه الورقة والتي تتلخص في عدم وجود استراتيجية واضحة لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، وتقصير المتخصصين بالاهتمام باللغة العربية كلغة ثانية أو أجنبية، وغياب المناهج الفعالة والمقررات المناسبة، وقلة تأليف الكتب والدراسات المتخصصة في مجال تعليم اللغة العربية كلغة ثانية، والنقص الفادح في الكادر الأكاديمي الكفء والمؤهل للاضطلاع بمثل هذه المهمة التعليمية الصعبة. وفي ظل هذا الوضع الراهن وأمام هذه الصعوبات والتحديات الداخلية والخارجية التي تحول دون الانتشار الناجح للغة العربية بين الناطقين بغيرها يتراجع مستوى تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها يوماً بعد يوم ويظل ثقيل الخطى بطيء السرعة، فاقدا للنجاعة، باحثا عن منقذ ينتشله من واقعه الموجود وينطلق به نحو مستقبله المنشود.

3. سبل الارتقاء بتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها:

إن المتتبع لمجال تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها لا يمكنه ان ينكر الجهود المبذولة والمبادرات المشكورة في العقود الأخيرة من انتشار لمعاهد ومراكز تعليم اللغة العربية داخل البلدان العربية والإسلامية وخارجها، وعقد لندوات ومؤتمرات محلية ووطنية ودولية متخصصة في تعليم اللغة العربية ونشرها بين الناطقين بغيرها، وإنشاء لمراكز بحوث علمية تعنى بهذا المجال وتستقطب الباحثين في مختلف الحقول في هذا المجال. كل هذه الجهود والمبادرات تمثل بدايات واعدة لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها ولكن المتأمل في المنظومة العامة لهذا النمط من التعليم يتبين له جملة من النواقص والصعوبات والنقاط السلبية التي يمكن تجاوزها بتظافر جميع الجهود نحو هدف واحد، وهو النهوض بلغتنا التي لا تمثل فقط وسيلة للتواصل بيننا بل هي وعاء تاريخنا وثقافتنا وحضارتنا وحاضنة هويتنا.

وأوّل هذه الجهود يجب أن ينطلق بإرساء نظرة شاملة وواضحة واستشرافية لمستقبل اللغة العربية في البلدان الناطقة بغيرها من خلال وضع خطة واضحة المعالم لأسهم اللغة العربية ومدى الاقبال عليها وموقعها وملامح تعلمها وفرص نجاحها في البلدان الأجنبية مع تصنيف تلك الدول تصنيفا تنازليا دقيقا حسب أسهم اللغة العربية ونسب الإقبال على دراستها وأسباب ارتفاع أو انخفاض هذه النسب وتحليل هذه الأسباب تحليلا موضوعيا ومنهجيا يمكّن من الحفاظ على النسب المرتفعة ومعالجة النسب المنخفضة. ثم يجب على المتخصصين في هذا المجال وعلى أصحاب القرار وضع استراتيجية شاملة تتناسب مع واقع تعليم اللغة العربية وتستشرف مستقبل هذا المجال ومن ثم ضرورة الاتصال عبر الاسلاك الدبلوماسية بكل المسؤولين والمعنيين بالأمر في الدول الأجنبية من وزارات وسفارات وقنصليات ومؤسسات تعليمية ومراكز بحث وشركات للتعريف بهذا البرنامج الواعد لتعليم اللغة العربية والتسويق المحكم له والإقناع به ووضعه في إطاره الصحيح وتنزيله على أرض الواقع. هذا البرنامج سيكون حتماً فعّالا وناجحا لأنّه سيُحدّد حسب كلّ بلد ودارسيه حسب تنوّع صفاتهم ومقاصدهم وأهدافهم وميولاتهم وخصائصهم الثقافية والاجتماعية والدينية والسياسية. وهنا يمكننا أن نذكر بعض الامثلة من الدول التي بدأت اللغة العربية تشهد فيها اقبالا متزايدا لأسباب مختلفة منها السياسي كأمريكا، والديني كماليزيا وبعض الدول الاسيوية والإفريقية التي تعتنق الاسلام دينا، والاقتصادي كالصين وكوريا. ومن هنا وجب على أصحاب القرار والمتخصصين حسن استغلال هذه الظروف المواتية واستثمارها لفائدة اللغة العربية.

ونظرا إلى أن وضع استراتيجية شاملة لتعليم اللغة العربية للنّاطقين بغيرها وتطبيقها على أرض الواقع يتطلب بناء مناهج مناسبة وجب على أصحاب القرار حسن اختيار علماء اللغة وأصحاب الخبرة لبناء مناهج خاصة بالطلبة الأجانب غير الناطقين باللغة العربية. ويجب على واضعي هذه المناهج والمقررات ان يراعوا الاختلاف الشاسع بين تعليم اللغة العربية بوصفها اللغة الأم وتعليمها بوصفها لغة ثانية أو لغة اجنبية. إذ ينبغي بناء مناهج لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها تختلف، في مداخلها ومنهجيتها ومحتوياتها وطبيعة المسائل اللغوية والفكرية والثقافية التي تطرحها والأساليب والطرائق التي تقدم بها، عن تلك التي يتم تدريسها للناطقين بها. كما يجب على هذه المناهج أن تكون وفق مستويات مختلفة ومتسلسلة ومتدرجة الخطوات ومتطورة بحسب أهداف الدارسين ومستوياتهم ومدة دارستهم لكّل مرحلة تعليمية وهذا ما تؤكد عليه عديد الدراسات في هذا المجال مثل (جنزرلي، 1986، ص 37) و (طعيمة، 1992).

وأمّا بخصوص المشكلات اللغوية التي تعترض دراسي اللغة العربية من غير الناطقين بها كالأصوات والصرف والتراكيب والمصطلحات النحوية والمعاجم فيجب على المتخصصين وضع رؤية متكاملة وخطة عمل شاملة تراعي معايير متفق عليها وضوابط مدروسة لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها من حيث المناهج والأهداف والمداخل والأساليب والطرائق والتقييم وخطط التطوير وضبط مقاييس الجودة ومعاييرها. هذا بالإضافة إلى ضرورة القيام بتخطيط تفصيلي دقيق وموضوعي للقضايا الفكرية والثقافية والحضارية التي تطرحها المناهج لدارسيها والتي من المنتظر أن تؤثر ايجابيا في تكوين فكرة عن ثقافة اللغة العربية وحضارتها وهوية الناطقين بها وملامح مجتمعاتهم وشعوبهم.

ولمّا كان نجاح أي منظومة تعليمية تربوية لا يكتمل إلاّ باكتمال الضلع الثالث للمثلّث الذي لا يقل أهمية على وضع استراتيجية شاملة لتدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها، ولا على حسن بناء المناهج المناسبة، ونقصد به المسؤول الأوّل على تطبيق الاستراتيجيات والمناهج على أرض الواقع والعنصر المباشر الذي يلتقي وجها لوجه مع الدارسين الأجانب والذي يحمل على عاتقه امكانية جذب هؤلاء وتحفيزهم أو امكانية إحباطهم، وبالتالي نفورهم، ألا وهو الكادر الأكاديمي التدريسي المباشر الفعلي لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، فإنه لزاما على القائمين على هذا المجال وضع خطة محكمة لحسن اختيار الكوادر الأكاديمية التي ستباشر التدريس. هذه الكوادر ينبغي أن تُختار وفق ضوابط موضوعية ومعايير واضحة ودقيقة نذكر منها على سبيل المثال الإلمام باللغة العربية من كل جوانبها، والقدرة الفائقة على استعمالها والتحكم فيها،

والمعرفة الشاملة بها وبمستويات تدريسها، والإطلاع على أحدث طرائق تدريسها، وخاصة الالمام والإطلاع على أنجع وأحدث طرائق تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها. إذ يجب على المدرّسين ان يكونوا متمكنين من طرائق التدريس الحديثة في تعليم اللغات ومناهج تحليل الخطاب، منطوقة ومكتوبة، وملمّين بالثقافة والحضارة العربية الاسلامية لأنّ اللغة وعاء الثقافة والفكر والتاريخ، وتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها لا يقتصر على الأدوات والتراكيب اللغوية فقط، بل يتعدّاها ليشمل المضمون وهذا يتطلب مدرسّين ملمّين بالثقافة اللازمة للاضطلاع بتلك المهمة والقيام بها على أكمل وجه.

وقد أكدّت العديد من الدراسات أن اللغة وعاء للثقافة والتاريخ (البوشيخي، 2002؛ أمندولار، 2010؛ المحمدي، 2013)، فالعلاقة تبدو وطيدة بين اللغة والفكر والثقافة والحضارة والتاريخ. ومن هذا المنطلق كان للغة العربية دور رئيسي في ترسيخ الهوية الوطنية والثقافية للأمة العربية والإسلامية (المحمدي، 2013 ؛ Al-Tonsi, 2010)، وبالتالي فإن تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها يتجاوز مجرّد تعليم الأصوات والحروف والمفردات والتراكيب والصرف والنحو ليضطلع بدور اكبر وأشمل يتمثل في التعريف بالهوية والفكر والحضارة والتاريخ العربي ونشره بين البلدان غير الناطقة باللغة العربية. ونظرا لأهمية هذا الموضوع والتحديات الذي يواجهها وللمتغيرات العديدة التي تستجد كل يوم أصبح لزاما علينا إعادة النظر في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها بهدف تيسير دراستها، تعلما وتعليما، ونشرها والتعريف بثقافتها وحضارتها وتحقيق الغايات المنشودة من وراء تعليمها.

إن وضع استراتيجية شاملة وإعداد مناهج مناسبة وتأطير الكوادر الاكاديمية التدريسية علميّا ومهنيا وثقافيا هو حتما الضامن الاساسي لإنجاح تجارب تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها. ولكن هذا المشروع الرائد والطموح لن يكتمل دون ايلاء اهتمام خاص بالعنصر الأساسي والركيزة المحورية لأي منظومة تعليمية تربوية مهما كان نمطها، وهو الدارس نفسه. إنّ الاهتمام بالمتعلم والدارس وإعداده للعصر الحديث أصبح أولوية ملحة في كلّ النظم التعليمية بكلّ دول العالم، وذهبت بعض الدراسات مثل (الخليفة، 2004)، إلى أنّ طبيعة وخصائص المتعلمين في عصرنا الحديث قد تغيرت واختلفت عما عهدته العقود والعصور الماضية. فلم يعد متعلمو اليوم يقتصرون على الدور التقليدي في اكتساب المعرفة فحسب، بل تعدّوها إلى أدوار أكثر فعل وتفاعل، ونشاط مستمر، ومشاركة فاعلة في كل مراحل الدرس وأصبح دارسو القرن

الحادي والعشرين يطمحون إلى امتلاك مهارات الحوار والنقاش والنقد والتحليل والتفاعل مع محيطهم الدراسي ومحيطهم الخارجي بما فيه من تغيّرات وتطورات مستمرة.

فمثلا يجب العمل بجدية على تذليل كلّ الصعوبات التي تعترض الدارسين الأجانب من خلال مراعاة التكامل في شخصياتهم في المجالات العقلية والعلمية والنفسية والاجتماعية والثقافية والدينية مع تناول الجوانب المعرفية والنفسية والحركية والوجدانية أثناء التدريس. كما يجب مراعاة التكامل اللغوي بين المهارات الأربعة لأي لغة، القراءة والكتابة والاستماع والمحادثة، وأخذ مقاصد الدارسين الأجانب وأهدافهم بعين الاعتبار أثناء التدريس ومعالجة الأداء والتقويم. وينبغي إتاحة فرص المنافسة والحوار والنقاش وإبداء الرأي والتعرّف على الحاجات اللغوية والمقاصد الأساسية للدارسين بما يضمن لهم التحفيز والتفاعل والاستفادة وتحقيق الأهداف المرجوّة. ولعلّه من أكثر تقنيات التعليم تحفيزا للدارسين في عصرنا الحديث هو الأخذ بتقنيات الاتصال والتواصل الحديثة ومستجداتها التكنولوجية من أجل تحقيق أهداف المنظومة التعليمية عامة، ومنظومة تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها خاصة (Al-Mohammadi & Derbel, 2014). فقد غدا اتقان التعامل مع المستجدات التقنية والتكنولوجية والمعلوماتية وتوظيفها الجيّد لمصلحة الدراسة، تعلّما وتعليما، من الضرورات التي يفرضها واقعنا المعاصر وتفرضها ملامح الدارسين الأجانب وخصائصهم ومقاصدهم. إذ أصبح من الضروري الابتعاد عن أساليب التعليم التقليدية الباهتة والجامدة (غالب، 2010)، والاتجاه نحو طرائق التدريس الحديثة باستعمال الوسائط والتقنيات الحديثة التي تجعل عملية التعلّم والتعليم أكثر تحفيزا وجاذبية ونشاطا، ومن هنا تكمن الاستفادة في تيسير تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها كوسيلة لنشر اللغة العربية وثقافتها، وإبراز أهميتها ودورها في الاستعمال اليومي في شتّى المجالات الحياتية الحيوية. وبذلك يمكن إبراز أهمية تعلم اللغة العربية وتعليمها واستخدامها في حماية اللغة العربية ذاتها والحفاظ على موروثها الثقافي ونشره بين دول العالم وتحفيز استخدامها في كلّ المجالات بما يجنبها التهميش والاقصاء ويمكنّها من الصمود والمواجهة أمام التحديّات التي تواجهها وخاصة الخارجية منها في ظل عولمة مكتسحة ولغات أجنبية مهيمنة وغزو ثقافي متعدد الأوجه. وهكذا يمكن للغة العربية أن تسترد مكانتها الريادية في العالم بما يعود بالنفع والفائدة المادية والمعنوية على الفرد والمجتمع، والمؤسسات، والدول.

الخاتمة:

وهكذا كانت هذه الدراسة مقاربة سعينا من خلالها إلى عرض أهم ملامح المشهد الواقعي في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها وبيان فرص وإمكانيات النهوض بهذا المجال وتطويره من خلال محاور ثلاثة قدّم أوّلها الإطار النظري وأهم الدراسات السابقة في هذا النمط من التعليم، وتناول المحور الثاني مجموعة من التحديات التي تواجه تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، أمّا المحور الثالث فقد هدف إلى تقديم جملة من الاقتراحات والتوصيات التي لا ندّعي أنها السبيل الوحيد لمعالجة جميع الإشكاليات المطروحة، ولكن هي مقترحات اجتهدنا فيها، ما وسعتنا الحيلة، ونرى أنّها يمكن أن تساهم، ولو بشكل جزئي، في الارتقاء بتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها. وإجمالا تؤكد هذه الدراسة على أنّ تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، على الرغم من التحديات الداخلية والخارجية التي يواجهها، يمثل سبيلا لنشرها بين بلدان العالم وشعوبها على اختلاف ثقافاتهم وحضاراتهم وتاريخهم ولغاتهم. وتخلص هذه الدراسة إلى أن نشر اللغة العربية وتعليمها للأجانب والامتداد بها وبثقافتها هو سبيل العرب إلى الانفتاح على ثقافة الآخر وتعريفه إلى ثقافتنا وحضارتنا العربية الاسلامية ذلك أنّ الاحاطة بثقافات الأمم والتعرّف إليها وفهمها والاستفادة منها لا يتحقّق إلاّ من خلال "لسانها" وانعدام الوعي بذلك قد يؤدي إلى تقهقر معرفي وحضاري.

ومن هنا تدعو هذه الدراسة إلى ضرورة الحفاظ على اللغة العربية وثقافتها ومكتسباتها من خلال تطوير طرائق تعليمها للناطقين بغيرها عبر التفاعل مع المستجدات التقنية الحديثة، وإرساء استراتيجية شاملة ونظرة مستقبلية واستشرافية لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها. وفي ختام هذه الدراسة نقرّ بأنّنا قادرون على تجاوز الواقع الموجود وبلوغ المستقبل المنشود.

المراجع:

1. الألوسي، عادل محي الدين (1988)، "العروبة والإسلام في جنوب شرق آسية"، بغداد، الشؤون الثقافية، ص 47.
2. بكر ، يعقوب (1969)، "دراسات في فقة اللغة"، بيروت، مكتبة لبنان، ص 24.
3. البوشيخي، عز الدين (2002)، "تعليم اللغة العربية من منظور وظيفي"، منشورات المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة، ايسيسكو.
4. جنزرلي، رياض الصالح (1986)، "التعلم وظاهرة الوحي"، بحوث تربوية، ونفسية المملكة العربية السعودية، جامعة ام القرى.

5. حماد، حمزة عبد الكريم و أبو غزالة، ماجد (2010)، "اللغة العربية للناطقين بغيرها، الشبكة العنكبوتية، الانترنت أنموذجا"، المؤتمر العالمي لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، ماليزيا.

6. خليفة، عبد الكريم (2006)، "اللغة العربية تواجه هجوما، وتحديات كثيرة"، www.elaph.com

7. الخليفة، حسن جعفر (2004)، "فصول في تدريس اللغة العربية"، الطبعة الثالثة الرياض، مكتبة الرشد، ص 296.

8. طعيمة، رشدي أحمد (1992) "تدريس اللغة العربية في سياق إسلامي"، المؤتمر الدولي في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، بروناي دار السلام.

9. عفيفي، اعتماد عبد الصادق (2013)، "الصعوبات اللغوية و طرق علاجها في تعليم العربية للناطقين بغيرها"، منشورات كلية الدراسات الإسلامية، جامعة الأزهر.

10. غالب، عبد الرزاق حسين (2010)، "اللغة العربية والتحديات أمامها"، المؤتمر العالمي لتعليم الغة العربية لغير الناطقين بها، ماليزيا.

11. المحمدي، شاكر علي (2013)، "العمالة الأجنبية بدول الخليج العربي و إشكالية اللغة العربية و الهوية الثقافية الوطنية.سلطنة عمان: أنموذجًا"، كتاب المؤتمر الدولي الثاني للغة العربية، المجلد 3، المجلس الدولي للغة العربية، دبي، ص 563-574.

12. الموسى، نهاد وآخرون (1983)، "منهاج تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها"، مركز اللغات كلية الآداب، الجامعة الأردنية، ص 7.

13. الموسى، نهاد (2005)، "تجارب الجامعات العربية في تعليم العربية كلغة ثانية"، بحث مقدم إلى مؤتمر الدراسات واللغات الأجنبية، كلية الآداب، الجامعة الأردنية، ص 5.

14. الناقة، محمود كامل (1980)، "أساسيات تعليم اللغة العربية"، معهد الخرطوم الدولي للغة العربية، ص 7-8.

15. كاتبي، هادية خزنة (2012)، "اللغة العربية كلغة ثانية و التحديات التي تواجه دارسيها الأجانب"، مجلة جامعة دمشق، المجلد 28، العدد الثاني، ص 425-455.

المراجع الأجنبية:

1. Al-Mohammadi, Shaker & Derbel, Emira, (2014). "The Effects of Embedding Information Technologies within ELT on EFL Learners' Motivation and Interest", *International Journal of Applied Linguistics and Literature,*Vol 3. N.1

2. Al Tonsi, Abbas. 2010. "Is the Arabic Language 'Dying?" *Arabizi*, July 12, 1-3. http://arabizi.wordpress.com/is-the-arabic-language/.

3. Amandolare, Sarah. 2010. "Arabic's Uncertain Future Has Troubling Cultural Implications", *Arabizi*, June 23. http://arabizi.wordpress.com/arab-culture-and-language/.

4. Huntington, Samuel (1996). *The Clash of Civilizations and the Remaking of World Order*, UK: The Free Press.